

العنوان:	العصبيات وأثرها الإجتماعي
المصدر:	الخميسية
الناشر:	مركز حمد الجاسر الثقافي
المؤلف الرئيسي:	ابن تنباك، مرزوق بن صنيان
المجلد/العدد:	2ع
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2009
الشهر:	صيف
الصفحات:	113 - 119
رقم MD:	798677
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	العصبيات، العلاقات الإجتماعية، الأنشطة الإجتماعية
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/798677">http://search.mandumah.com/Record/798677</a>



المنظومة  
ALMANDUMAH

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

ابن تنباك، مرزوق بن صنيان. (2009). العصيات وأثرها الإجماعي. الخميسية، ع2، 113 - 119. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/798677>

إسلوب MLA

ابن تنباك، مرزوق بن صنيان. "العصيات وأثرها الإجماعي." الخميسية ع2 (2009): 113 - 119. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/798677>

موقع الدكتور مرزوق بن صنيان  
www.mtenback.com

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.

هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

# العصبية وأثرها الاجتماعي \*

د. مرزوق بن تنباك \*\*

الحديث عن العصبية وأثرها الاجتماعي حديث عام ولا أظن أن هناك أحداً لم يمر به مثل هذا الأمر، والعصبية الاجتماعية لاشك في أنها إلى حد ما مدركة في أذهاننا جميعاً، لكن التفاصيل تغيب عنا في بعض الحالات. والعصبية باختصار شديد -في أصلها- جمع أعضاء السلم، وأهل الحجاز يعرفون السلم معرفة جيدة. وهذا العصبية لغة، أما في المعنى الذي نتحدث عنه اليوم فهي القوة، ولذلك جاء في التنزيل (ونحن عصبية)، وفي الحديث الشريف: (إن تهلك هذه العصبية) بمعنى: أن تهلك هذه القوة.

بالمدينة ثم بالإقليم وهكذا هي العصبية -بطبيعتها- كالبصلة كلما تزيل طبقة منها تدخل في طبقة أقل وفيها هذه المادة المتصلة في النفع للإنسان التي يحاول أن يجدها في العصبية، لكن عصبية المنافع الذاتية تغلب كل هذه العصبية بغض النظر عن أنواعها، وحوادث التاريخ تحدثنا منذ ابني آدم إلى يومنا هذا، أنه كلما تعارضت عصبية الذات أو المطامع الشخصية مع العصبية التي ينتمي إليها الإنسان كان ميل الإنسان إلى نفسه وعصبية وما يحقق من طموحاته الخاصة. الجزيرة العربية قبل الإسلام كانت ذات عصبية شتى كما هي عصبية اليوم،

أما العصبية في الواقع فإن لها عدة مظاهر وتجليات فهناك عصبية النسب وعصبية المكان وعصبية الدين، والجنس، واللون، والثقافة، كل هذه عصبية يدعو بعضها إلى التكتل. لكن يجمع كل هذه المعاني معنى واحد وهو المصلحة أو المنفعة الذاتية للإنسان؛ فإذا تحققت المنفعة الذاتية يمكن أن تسقط كل هذه العصبية.

## العصبية الأولى:

عصبية النسب، تبدأ بأسرة صغيرة، الرجل وأبناؤه، الرجل وأبناء عمه، الرجل وفصيلته، الرجل وعشيرته، ثم النسب الأكبر الرجل وقبيلته. العصبية المكانية تبدأ بالقرية ثم

\* قُدِّمَتْ هذه المحاضرة في صورتها الأولى في «الخميسية» ضمن أنشطة مركز حمد الجاسر الثقافي، يوم الخميس ١ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ الموافق ٥ يونيو ٢٠٠٨ م. أدار اللقاء د. عبد العزيز المانع (أستاذ الأدب العربي في جامعة الملك سعود والمشرف العام على تحرير مجلة الخميسية).

\*\* أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود.

الأنصار وهم أهل الزهد غضبوا عليه هذه الغضبة من أجل المال وذهب إليهم ليطيب خواطرهم: (أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟) كلام جميل، طيب خاطر الأنصار لكن بقي في النفوس ما بقي.

وعندما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بربه لم تذهب العصبية فكانت حادثة السقيفة وحاول الأنصار أن يكون لهم في الأمر شيء، جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة يذكرونهم بالعصبية القبلية، العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش، كان من المفروض أن يقول أبو بكر إن الإسلام يرى أفضلكم وأتقاكم و..... الخ هو الذي يتولى الأمر فهذه قاعدة الإسلام الكبرى، لكن أبا بكر كان مستعجلاً ويعرف واقعية ما الذي يؤثر في هذا الجمع، فالعصبية هنا ليست انحيازاً عن الدين، لكن الدين مجال للتقوى والأفضل، وسيقول الأنصار نحن مثلكم في التقوى، وسيقول غيرهم أيضاً نحن أهل تقوى، وسيدخلون في جدل لا طرف له حول من هو التقي، لكن لأن الأمر في عجلته فقد عمد إلى الواقع الذي لا يخالف فيه أحد وهي العصبية القرشية وقال: «العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش».

هذا بالنسبة إلى العصبية وما سجلته في الدولة الناشئة، والمكاسب التي أشرت إليها

ولما جاء الإسلام حاول أن يقلل أو يجمع هذه العصبيات ولكن مع هذا العمل يقال: يا للمهاجرين يا أهل الأنصار فقمعها قمعاً شديداً وقال كلمته المشهورة: «دعوها فإنها منتنة»، وجاء القرآن ليقول: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وهو فعلاً يحاول أن يبين الواقع الصحيح للإنسان في عصبته (قبيلته) أو مدينته إنما إلى السمو الأعلى في هذه الصورة، ولكن ذلك لم يفن شيئاً مما سوف نتحدث عنه وهو الشيء الطبيعي في الإنسان في أي مكان وهو التعارف، قال تعالى (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)، لا يمنع أن يكون الإنسان منتمياً ولكن يكون ذلك للتعارف، الرسول يقول أيضاً: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»، لكن يظهر لي أنها كلها كانت في الواقع أحاديث مجردة مع الأسف الشديد لم تدخل إلى واقع العمل الفعلي حتى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعده. كان الرسول عندما سمع ما سمع من أصحابه منهم بهذا المنع، فجاءت عصبية جديدة وهي عصبية الثروة وعصبية المال (المنفعة) فجاء الفقراء الذين لم يجدوا مالاً أو لم يستطيعوا أن يثروا ثراءً كبيراً مع أهل الثراء والكسب وقالوا: «ذهب أهل الدثور بالأجور».

أيضاً بعد حنين عندما قسم الرسول صلى الله عليه وسلم المال على بعض الناس وترك

أنها لا تكون عصبية، ولو كانت القبيلة تمتد من البحر إلى الخليج، لأنه ليس لديها القوى التي تؤثر في الآخرين، إذاً لا بد أن ترتفع القوة مع الغلبة للآخرين الذين يحتاجون إلى العدالة في الأرض، فالقبيلة إذا فقدت القوة ليست عصبية، والإقليم إذا فقد القدرة فليس عصبية، وهكذا إذا لم تقترن العصبية بالكثرة وبالقوة فهنا تبطل العصبية، وإذا قامت الدولة بطلت كل العصبيات، عصبية النسب، عصبية المكان، عصبية الدين، عصبية اللغة، عصبية الجنس، كل هذه العصبيات تصبح انتماءات وعليها تعارف، لكن ليس لها ذلك الحق في أن تكون قوة وعصبية تغلب الآخرين وتأخذ حقوقهم مقابل أن تستأثر هي بالحكم، لأن الدولة تصبح بسلطانها هي العصبية الأعلى وكل ما قبل ذلك هي مواطنة وبالتالي تستبدل الدولة العصبيات كلها باسم المواطنة التي تحقق للإنسان حقه، ولا مجال إلا التعاون والتعايش الطبيعي بين الناس.

في المجتمعات المدنية والحضرية والإقليمية المتحضرة لا توجد عصبية واحدة ولا انتماء واحد لكل الناس بل تتعدد الانتماءات التي تسودها الطمأنينة لأنه لا يسمح لأية عصبية أو انتماء بالمفهوم السلبي، وإنما تصير الانتماءات تنوعاً إيجابياً فلا أحد مقطوع من شجرة إنما يكون له انتماءه ضمن إطار الوطن

كانت في منتهى الوضوح عند معاوية، عندما ذهب واستطاع أن يجمع الناس وسلموه رقابهم كان توسله بدم عثمان عصبية ثم لما صار الأمر إليه صارع الحاضرين بأنه يعرف هذا الصراع الذي حدث بينهم، أن ظاهره العصبية وداخله ما يختلف عليه الناس إلى يومنا هذا، وقال لهم: عالجت نفسي على سرية أبي بكر وعمر فلم أستطع ذلك فلکم عندي مأكلة حسنة ومشاركة حسنة. انتهى الأمر.

هذا هو الجانب التاريخي للعصبية القبلية الذي نتحدث عنه في هذا الصباح، وأنا اضطررت إلى هذه المقدمة حتى أضع الأمر في صورته الطبيعية للمثل الأعلى في تاريخنا الذين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذن ما هي العصبية؟

التعريف الأول سأتركه، وسأعود إلى تعريف جديد آخر يعرفه الواقع في كل مراحل تاريخ العصبية: هل هي النسب؟ هل هي المكان؟ هل هي الكثرة؟ هل هي القبيلة؟ هل هي المنطقة؟ ما هي هذه العصبية وكيف تعمل؟

تعمل هذه العصبية إذا اجتمعت في أي نوع، عصبية القبيلة، أو عصبية الإقليم، أو عصبية المنافع، تعمل إذا وجدت القوة والكثرة مع المصلحة المشتركة وتصبح العصبية مؤثرة. ولكن عندما تفقد العصبية القوة وإن كانت تؤثر في الواقع فتأخذ حق وحقوق الآخرين غير

تجعله مثلاً وبين ما تسعى لتطبيقه، أي عندما يأتي التطبيق يعجز الواقع عن التطبيق المثالي لهذه القضية، وتبقى قدرة الناس على تكيف هذه المسميات والقيم والمعايير قدرة عالية وقد يحدث أن تقوم الدولة بنشر هذه القيم نظرياً بين السكان وتعلن العمل بها لكن يخرج الواحد بهذا الإعلان نماذج من العصبية متكيفة مع الواقع الذي صار إليه الناس تحت سلطة الدولة فلا يتحقق لكل المواطنين شروط المواطنة وحقوقها وغير ذلك؛ حيث يخرج من رحم النظام وإدارته عصبية أشد قسوة من كل أنواع العصبية التقليدية وأكثر امتيازاً لمصالحها وأبنائها وتأخذ هذه العصبية قوتها متوسلة بهياكل الدولة ومسؤولياتها ومؤسساتها. ولأن طبيعة الذاتية والنفعية طبيعة متحكمة ومنحازة فإن مؤسسات الدولة وهيكلها الإدارية تعمل على تحقيق شروط العصبية ومضامينها بغير اسمها وإن كانت أشد ضرراً من العصبية السائدة قبل قيام الدولة وأكثر انحيازاً لمصالحها وأبنائها ومن ينتسب إليها وقد تحققت لفئة من الناس القوة والقدرة وتجاوز حقوق المشاركين في الوطن واستطاعت هذه الفئة وضع الثنائيات الاجتماعية والانتمائية والتقابلات المنطقية بوضع يخدم عصبيتها ويؤطر بيروقراطية المهنة، ثم وضعت نفسها موضع القابض

ولا بد للإنسان في هذه الحال من الانتماء، أن يولد يولد المرء في القرية أو في المدينة أو في الإقليم وينتمي للمنطقة التي ولد فيها، ويعود إلى أصله، هذا شيء طبيعي يوجد في كل مكان لكن ذلك لا يؤثر على حقوق المواطنين في الوطن والمواطنة من غير أبناء منطقتهم أو قريته أو قبيلته أو جماعته أو من يميل إليهم، ذلك إذا حدث في هذا الشكل فهو الأمر الطبيعي.

أما الذي ليس طبيعياً فهو أن تهتمش قبيلة أو قرية أو جماعة أو إقليم أو أقاليم مقابل أن يبقى السلطان والقوة في فئة أو في جماعة أو في مذهب أو في دين، وإذا حصلت هذه فإن الواقع يختلف، فتصبح العصبية هنا عصبية منظمة أو مؤسسة، فإذا استطاعت الدولة ضبط التوازن بين هذه الثنائيات هنا فسيظهر العدل المناط بالمؤمن وعندئذ يصبح الجميع مسؤولين عن هذه الفكرة المكونة للذات التي تجعل الجميع مشاركين في الهم العام وفي الهم الخاص، لكن الحراك الاجتماعي في الواقع لا ينضبط بهذه الضوابط المثالية، النظرية التي نرددها ونسمعها إلى يومنا هذا، في مضمار الحراك الاجتماعي مثل العدل والمساواة والحقوق والواجبات. كل ذلك يجعل الدولة المعاصرة في مأزق هذه الجدليات وأمام معضلة بين ما تعلن وتدافع عنه وتحاول أن

مؤسسات الدولة بواعث عصبية واستطاعت فئة من الموظفين الرسميين تحقيق شروط العصبية التي هي الاجتماع والقدرة والدفاع عن مصالح الفئة الخاصة بها وتهميش من لا ينتمي إليها ولا يخدم وجوده عصبيتها، وتدافعت المواقع في المملكة عند نشأتها وتأسسها، وظهرت عصبيتان صغيرتان تمتعتا معا بفرص نسبية على كل مناطق المملكة وقبائلها وسكانها، وحاولت الدولة في البداية وضع التوازن بين هاتين العصبيتين النافذتين لخلو الميدان عند تأسيس الدولة، وقد تحقق ذلك خلال فترة قصيرة بعمل منظم من الدولة لصالح إحدهما التي كانت أضعف قدرات من الأخرى، ولم يلبث ميزان العدل أن مال لصالحها أي الضعيفة لكن بقي للمغلوبة منهما ما حققته في البداية من مكاسب ومواقع في مراكز القوة، وما يهمننا من ذكر الصراع عند بداية تأسيس الدولة بين هاتين الفئتين الصغيرتين من السكان هو الأثر الذي أصاب الدولة من هذا التنافس الرهيب بينهما؛ ذلك أن هذا الصراع المتعصب أشغل الدولة وأنساها كل الأقاليم والمناطق والقبائل التي تمتد على أديم المملكة العربية السعودية وعلى مساحتها التي تزيد على مساحة أوروبا الغربية.

وكانت الأقاليم والمناطق والسكان خارج

على حراك المجتمع الكبير، والقابض على توازن الثنائيات الاجتماعية لتصبح هي العمود الفقري بين كل ثنائية في المجتمع هي في نظرها ومن منطلق مصلحتها ضلع أعوج مائل لا يلامس ولا يضافح الأضلاع الأخرى إلا عن طريقها وبواسطتها أعطت كل ثنائية اجتماعية صفات وعرفتها بذلك وأقترنت الثنائيات الأخرى بتصديقتها وأصبح المجتمع وما يسمى بالمواطنين لا يلامس بعضها بعضاً إلا عن طريق هذه الجماعة أو ما يسمى بالعصبية البيوقراطية.

هذا الإجمال الذي تحدثنا عنه يوضحه إذا نظرنا إلى تكويناتنا في المملكة العربية السعودية: فإذا نظرنا إلى الجغرافيا وامتداد الأرض ونظرنا إلى بقية الديموجرافيا التي تكسوها نجد أن الصورة أكثر وضوحاً لما تعنيه العصبيات والثنائيات والانتماءات السكانية من المسمى البيئي. إن المملكة قبل وحدتها كانت تمتد على أرضها عصبيات شتى وانتماءات كثيرة كانت القبيلة عصبية وكانت القرية عصبية وكانت المدن والأقاليم والمناطق عصبيات وثنائيات لكل مكوناتها، ولما قامت الوحدة المباركة جمعت كل الانتماءات والعصبيات نظرياً غير أنه لم يلبث أن ظهرت بواعث عصبية جديدة ومغريات أكثر إلحاحاً عند بعض فئات من المواطنين وتحملت

محلها قيماً جديدة، ذهبت قيمة الكسب المنتجة وقيمة الاجتهاد وقيمة الاستعداد الشخصي، وقيمة الاعتماد على النفس، وقيمة الكفاءة والقدرة، كل هذه القيم فقدت معناها نتيجة لصراع العصبية الوظيفية وحل محلها قيمة المسؤولية وقيمة الانكالية واستغلال الفرص الخاصة وطرق الكسب السهلة، وإن ضر ذلك بالمصالح. وأصدق ما يصف هذه العصبية ما قيل الدولة وما بعدها هو قول الشاعر:

لقد كان فينا الظلم فوضى فنظمت

حواشيه حتى صار ظلماً منظماً  
وكانت العصبية تقابل الدولة بفوضى  
وكانت بعدها قد أصبحت منظمة وبدا هذا  
التنظيم والظلم المنظم عندما بدأ مركز القوة  
في الشعور الشيفوني وانفصل عن المحيط  
الاجتماعي الكبير فأستت شجرة العائلة  
كعصبية داخلية واخترع بيت العائلة واخترع  
أيضاً صندوق العائلة لتكريس هذه القدرات  
للفئة الصغيرة في المجتمع بدل المجتمع كله  
ولم يشعر الناس بأن هناك عصبية تدار  
وقوة تؤثر بالمجتمع حتى قلد العوام وأمثالهم  
هذا النموذج الراقى للقادرين على العصبية  
فثارت ثورة الحذر من العصبية التي تمتد  
على أرض الجزيرة.

باختصار شديد: هذا الحراك الاجتماعي  
في واقعه أهمل ما لا يمكن إهماله وهو قيمة

الصراع الفئوي وخارج الاهتمام بل خارج الإدراك كله، وكان صراع هاتين الفئتين على مركز القوة الاقتصادية الإدارية لقوتها ومحاولة كل واحدة منهما الإجهاز على مكاسب الأخرى قد شغلها وشغل الدولة معها عن كل المناطق والأقاليم والقبائل عامة وعن السكان الذين كانوا خارج صراع العصبية، وعلى إثر العصبية الحديثة في خضم الصراع وغمرته بين هاتين الفئتين نمت مناطق المملكة وقبائلها وسكانها نمواً هائلاً في التعليم وفي الكثرة العددية وقيد لها أكثر درجات السلم الوظيفي في كل القطاعات ولا يمكن ذلك أمام حراك المجتمع الطبيعي ولم يصل السفح للقمة، فامتد السفح امتداداً أفقياً هائلاً وضافت القمة وانغلقت على نفسها ومصالحها وأبنائها واستحكمت بعصبية المال وأوعية مصادرها التي هي الإدارة التنفيذية ونتيجة هذا الواقع وما آل إليه حال المجتمع بكل فئاته حيث قسم على نفسه: فئة قليلة العدد محدودة الانتشار تدير أرقاماً بنكية من الثروات وتمسك بزمام القيادات التنفيذية للدولة وتتمي هذه الثروة بكل الوسائل الممكنة، ومجتمع يمتد على مساحة المملكة تتسع فيه مساحة الحاجة والبطالة والفقر والجريمة. وليس هذا فحسب لكن اجتماع الثروة المادية والعصبية التنفيذية ألغى قيماً سائدة وأحلّ



غائبة تماماً من كل قطاعات المجتمع وبدا مع هذا أيضاً وهو المشكلة الكبيرة التي نواجهها الآن أن المجتمع أو الطفرة السكانية الهائلة أربكت حراك المجتمع الطبيعي فعدد السكان في الثلاثين السنة تضاعف أضعافاً كثيرة، التعليم أيضاً انتشر في جميع قطاعات المجتمع بحيث أصبحت البطالة الآن في المملكة العربية السعودية تشكل أنموذجاً إذ نجد ٧٠٪ من سكانها عاطلين عن العمل وهي أغنى دولة تملك ثروات ضخمة في العالم ولا أظن أن هذا الأمر طبيعي لأن الحراك الاجتماعي كان هنا منحصراً في فئة غلبت مصالحها وضمنت مكاسبها على النظرة الشاملة للمجتمع.

الإنسان الذي يعيش على هذه الأرض وكان السبب في ذلك الواقع مبالغ المكاسب الكبيرة التي يحققها القطاع الصغير الذي تمكن في قدرته وتمكن أيضاً بسبقه إلى مواقع القرار السياسي ولذلك في بداية غياب المجتمعات عن القرار تمكن العدد القليل من هذه الفرص، وعندما بدأ التعليم وبدأ التغيير الكبير في المجتمع كانت هذه الجهات القادرة قد استحکم أمرها فلم تترك مجالاً ليصبح هناك أي نوع من المشاركة في الثروة والمشاركة في الإدارة أو حتى المشاركة الاجتماعية الفاعلة وفي سياق كهذا لا تقدر إلا أن تكون من فئة معينة أو من قرية معينة والمشاركة